مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (٣٤)، ع (١)، ص ص: ٣٧٤ – ٣٩٨ (٢٠٢٦م)
DOI: 10.4197/Art.34-1.13

البلاغة الصوتية في المعوذتين: دراسة تحليلية

محمد بن عبد الله بن عائض البقمي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بتربة، جامعة الطائف
الطائف، المملكة العربية السعودية

m.alnumiri@tu.edu.sa

المستخلص: ينهض البحث بدراسة أهمية البلاغة الصوتية للألفاظ والتراكيب اللغوية التي وردت في كتاب الله تعالى، ودورها في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وذلك من خلال استعراض ما جاء من إشارات ضمن هذا السياق في التراث اللغوي والبلاغي وكتب الإعجاز، وما تناوله المحدثون في هذا الحقل الإعجازي المهم. مع الدراسة التحليلية لأثر القيمة الصوتية في أداء المعنى وتطبيق ذلك على (المعوذتين) وذلك من خلال دراسة الخصائص الصوتية التي اشتملت عليها، ليتضمن البحث بذلك الأصول النظرية للبلاغة الصوتية، وتطبيقه على المعوذتين: (سورة الفلق، وسورة الناس)، ويشتمل البحث على المباحث التالية: مدخل، يمثل توطئة لمضمون البحث، ثم المبحث الأول: ويتناول مفهوم البلاغة الصوتية وصلتها بالبلاغة والإعجاز القرآني، ثم المبحث الثاني: ويدرس البلاغة الصوتية في سورة الفلق، يليه المبحث الثالث: ويتناول البلاغة الصوتية في سورة الناس، وأخيراً الخاتمة: وتتضمن تلخيصاً لأهم أفكار البحث ومضامينه وتوصياته.

الكلمات المفتاحية: البلاغة والنقد، بلاغة القرآن الكريم، البلاغة الصوتية، المعوذتان.

مقدمة

الحمد لله ولي الحمد وأهله، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ... أما بعد:

فإنَّ من المتقرِّر بأنَّ الصَّوت يؤدي دوراً بارزاً في التأثير على المتلقِّي، والوصول إلى لبه لتحقيق الغاية المرادة من وراء النص، وهو ما يترك أثراً ملحوظاً في نفس السامع أو القارئ، ويتحقَّق ذلك من خلال الجرس الصوتي الفريد الذي يحققه انسجام أصوات الكلمة والجملة مع مضمونها، وهذا ما اعتنى به أسلافنا من علماء العربية القدامى – كما سيأتي بيانه –، ويكشف البحث في هذا المضمار عن قمة ما ينشده الباحث في أي الكتاب العزيز، فالكلمة التي تأتي متمكنةً في

موضـــعها تتكون من حروف وأصـــوات تنتظم في ســـياق الجملة أو الآية لتحقق نظامًا صـــوتيًا محكمًا، يلتمس فيه التناسب بين اللفظ والصوت من جهة والمدلول المعنوي وما تشير إليه دلالة السياق من جهةٍ أخرى.

وللكشف عن هذا المعنى وخوض غماره جرى اختيار المعوذتين شاهدًا على هذه القضية، للوقوف على سر الإعجاز البياني فيهما، والتماس أسرار التناسب بين أصواتهما وألفاظهما مع معانيهما ومدلولاتهما، بالرغم من اتحاد مضمونها الأساسي وهو الاستعاذة بالله تعالى وطلب حمايته واللوذ به من كافة الشرور التي تحيط بنا حسية كانت أو معنوية.

أهداف البحث:

يهدف البحث من خلال مباحثه إلى الأهداف التالية:

١. إظهار أهمية الصوت وتعانقه مع الدلالات البلاغية والتركيبية والمعنوية والسياقية لإثراء النظم الإعجازي والبلاغي لآيات الكتاب العزيز.

٢. دراسة مفهوم البلاغة الصوتية ومحاولة تطبيقه على المعوذتين ك شاهد قرآني.

٣. إبراز أهمية الدراسات البينية بين علوم اللغة وفروعها التي تثري الدرس البلاغي.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على من تناول قضية البلاغة الصوتية في المعوذتين، ولكن ثمت أبحاث تناولت البلاغة الصوتية ومنها ما يلي:

١. بحث مطبوع بعنوان: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، من إعداد أ.د. محمد إبراهيم شادي، نشر دار الرسالة، (ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م)، وقد تناول مؤلفه مظاهر البلاغة الصوتية في آي الكتاب العزيز، وبذور البحث البلاغي الصوتي في التراث، وامتداده لدى المعاصرين، ثم ملامح البلاغة الصوتية من الجرس والإيحاء وانسجام التأليف.

٢. بحث منشور بعنوان: البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، د. مدحت حسيني ليمونة، والذي نشر في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر (المجلد ٢٥، العدد ٢، ٢٠١٢م، ص١٧١٩-١٩٠١)، وقد تناول فيه الباحث مظاهر البلاغة الصـــوتية في أحاديث النبي الكريم (ﷺ)، والأبعاد الجمالية للإيقاع الصوتي وما يتبعها من الآثار البلاغية والنفسية.

٣. بحث منشور بعنوان: التحليل البلاغي للظاهرة الصوتية في القرآن- المنهجية وخصوصية النص، أ.د. لؤي علي خليل (مجلة كلية الإلهيات جامعة بينكول، عدد ١١، ٢٠١٨/١)، تناول

فيه الباحث خصـــوصـــية التناول للنص القرآني، ومنهجية البحث الصـــوتي في التحليل البلاغي لآيات القرآن الكريم، مع بعض الشواهد التطبيقية من كتاب الله تعالى.

وقد أفاد الباحث من هذه الدراسات والأبحاث فيما يتعلق بتأصيل البلاغة الصوتية، ومحاولة الفهم والتنظير في المدخل العلمي لها، وينفرد هذا البحث بالشـــاهد التطبيقي (المعوذتين) ويرجو الله سبحانه التوفيق والعون والسداد.

منهج البحث:

اعتمد البحث في تناوله على المنهج الوصـــفي القائم على التحليل الذي يفيد منه دارس البلاغة من علوم اللغة الأخرى، واسـتمداده من خلال المسـتويات الصـوتية والتركيبية والسـياقية، محاولاً الكشف عن جذور المسألة في التراث العلمي لعلماء التفسير والبلاغة وإعجاز القرآن الكريم.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى:

مدخل، يتناول تمهيد نظري للبلاغة الصوتية.

المبحث الأول: مفهوم البلاغة الصوتية وصلتها الإعجاز القرآني.

المبحث الثاني: البلاغة الصوتية في سورة الفلق.

المبحث الثالث: البلاغة الصوتية في سورة الناس.

الخاتمة، وتتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

مدخل:

نزل كتاب الله تعالى ووقع التحدي به والإعجاز بنظمه، فقد كان مشـتملاً على الكثير من الأبعاد اللغوية والبلاغية والمعنوية، ومن ذلك ما عبَّر عنه الوليد بن المغيرة بقوله لما ســمع آيات القرآن الكريم: "واللَّه إنَّ لقوله الذي يقولُ حلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّهُ لمثمرٌ أعلاهُ مغدقٌ أسفلُهُ ..."[(١)]، فالحلاوة والطلاوة وغيرها من الأوصـــاف إنما تنهض بها القيم الصـــوتية، والموســـيقى اللفظية للكلام، وذلك لارتباطها بما تسمعه الأذن، وترهف له الحاسة الذوقية في قريحة المستمع، وهو ما يتكون منه الإيقاع الداخلي للفظ، والجرس الصـــوتي الذي يترنَّم به القارئ، حيث تؤدي القيمة الصـــوتية دورًا بالغ الأهمية في تصـــوير المعنى والإيحاء به، عبَّر عنه الجاحظ بقوله: "وأمر الصوت عجيب، وتصرفه في الوجوه عجب، فمن ذلك: أن منه ما يقتل كصوت الصاعقة، ومنها

(١) أخرجه الحاكم: (٣٨٧٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان": (١٣٤)، وقال السيوطي: "إسناده صحيح على شرط الشيخين" (لباب النقول: ٣١٩).

ما يسر النفوس حتى يفرط عليها السرور فتقلق حتى ترقص، وربما رمى الرجل بنفسه من حالق، وذلك مثل هذه الأغاني المطربة، ومن ذلك ما يكمد، ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه"[١]، وقد سبقه الجرجاني بتقرير نحو هذا المعنى حيث قال: "وهاهنا أقسام قد يُتَوهَّمُ في بَدْء الفكْرة، وقبل إتمام العبرة، أن الحسن والقبحَ فيها لا يتعدى اللفظ والجرس، إلى ما يُناجِي فيه العقل النفسَ، ولها إذا حُقّق النظر مَرجِعٌ إلى ذلك، ومنصرفٌ فيما هنالك، منها: التجنيس والحشو"[٢].

وهذا الشعور بأهمية دور الصوت وقيمته في إيصال المعنى، وإبراز تأثيره في نفس المتلقي، كان حاضرًا عند علماء العربية الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد وأبو الفتح عثمان ابن جني، حيث عقد الأخير فصلًا في كتابه "الخصائص" عنونه بـ: "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، وفصلاً آخر بعنوان: "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وأشار فيهما إلى ما ذكره الخليل في التوفيق بين الدلالتين الصوتية والمعنوية، ومن تلك الأمثلة: "صَرَّ الجندب صريرًا وصرصر الأخطب صَرْصَرَة، فكأنّهم تَوَهَّموا في صوت الجندب مدًّا، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعًا، ونحو ذلك كثيرٌ مختلِفٌ"[٣]، وقال أيضًا في مادة (ق هـ): "والقَهْقَهَةُ في قَرَب الوِرْد: مُشْتَقٌّ من اصطدامِ الأحمالِ لعَجَلةِ السَّيْر، كأنّهم توهّموا لِحِسّ ذلك جَرْسَ نغمةٍ فضاعفوه"[٤]، فهو بهذا يؤسِّس لمقتضى التناسب بين دلالة اللفظ وما يشتمل عليه من جرس وصوت وإيقاع، مع دلالة المعنى الذي يشير إليه.

وقد توسَّع ابن جني في تأصيل هذه النظرية، والاستشهاد لها بألفاظ العربية على نحو واسع، فصورها بأسلوبه الأدبي البديع، وضرب لها الأمثلة والشواهد التي تؤيد ما قرَّره وذهب إليه، وتتبعها في مواضع متفرقة من كتابه الخصائص، ومن ذلك قوله: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[٥]، وشرع في الاستشهاد لكلامه ومنه قوله: "والنضخ أقوى من النضح، قال الله سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]، فجعلوا الحاء لرقَّتها

---

(١) ينظر: الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، لبنان-بيروت: ٤/ ١٩١-١٩٢.

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٤١٢هـ: ٦-٧.

(٣) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ت: ١/ ٥٦.

(٤) العين، مادة (ق هـ): ٣/ ٣٤١.

(٥) الخصائص، عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤: ٢/ ١٥٩.

للماء الضـــعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه"[١]، وهذا شـــاهدٌ على مناســـبة اللفظ للمعنى وملاءمة صوته لمقتضى التعبير، وهو ما وقف عنده السيوطي عندما قارن بين تفاوت الاستعمال عند العرب بين الألفاظ متقاربة المعاني بإبدال الحروف ضـــعفًا أو قوةً، فقال مبيناً ذلك: "فانظر إلى بديع مناســـبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرفَ الأضـــعف فيها والألين والأخفى والأســـهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملًا أو صـــوتًا، وجعلت الحرف الأقوى والأشـــد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملًا وأعظم حسًّـا"[٢]، وهذا تعبيرٌ دقيق من السيوطي واستيعاب متقن لما ذكره علماء اللغة السابقين، من فهم العلاقة الوثيقة والصـــلة بين صـــوت الكلمة وتركيبها اللفظي وما تشـــير إليه من المعنى والدلالة.

المبحث الأول: مفهوم البلاغة الصوتية وصلتها بالإعجاز القرآني

أولاً: الصوت في اللغة

تعد اللغة في أساسها ظاهرة صوتية يعبر بها الناس عن أغراضهم، وتؤدي الأصوات باختلاف مســـتوياتها الدلالية والتركيبية ما تؤديه من توجيه المعنى وتحديد الدلالة التي يرومها المتحدث، والصـوت في اللغة يطلق ويراد به كما قال ابن فارس: "الصـاد والواو والتاء أصـلٌ صـحيح، وهو الصَّـوت، وهو جنسٌ لكلِّ ما وَقَرَ في أُذنِ السَّـامعِ"[٣]، ويُقال: "صَـوَّتَ فلانٌ (بفلان) تصـويتاً أي دَعاه. وصـاتَ يصُـوتُ صـوتاً فهو صـائت بمعنى صـائح. وكل ضَـرْبٍ من الأُغنيات صَـوتٌ من الأصـوات. ورجل صـائت: حَسَـن الصـوت شـديدُه. ورجل صَـيِّتٌ: حَسَـنُ الصَّـوتِ. وفلان حَسَـن الصِّـيت: له صِـيتٌ وذِكْرٌ في الناس حَسَـنٌ"[٤]، فمدار مادة الصـوت على ما اسـتقرَّ في الأذن، ووقع عليه السمع.

ولكلِّ حرف من الحروف صـــوتٌ يتميز به عن غيره، فيتكون الحرف من مقطعٍ صـــوتي يشـــكِّل مصـــدرًا له، وقد أشـــار ابن جني إلى مصـــدره بقوله: "اعلم أن الصَّـــوت عرضٌ يخرج مع النفس مسـتطيلاً متصـلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشـفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واسـتطالته، فيُسمَّى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[٥]، وفي

---

(١) الخصائص: ٢/ ١٦٠.

(٢) المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد وآخرون، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ٣، د ت: ١/ ٥٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: مادة (صوت).

(٤) العين، مادة (صوت): ٧/ ١٤٦.

(٥) سر صناعة الإعراب، عثمان ابن جني، تحقيق: د. محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.: ١/ ٦.

مضمون التفريق بين (الصوت) و (الحرف) يقول د. رمضان عبد التواب: "الصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي، الذي يتخذ وسيلة منظورة، للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة، إلى اختلاف المعنى"(١)، فحركة الصوت أكثر دقَّة من الحرف، فالعلاقة بينهما عموم وخصوص، فالصوت أخص متعلقاً بما يسمعه الإنسان، أما الحرف فهو أعم وأشمل متعلقاً بهيئات الحرف وأصواته وحركاته المختلفة.

ثانيًا: الأثر البلاغي للقيمة الصوتية

يساهم الصوت في الإيحاء بالمعنى وتصويره، فلا يمكن تمثُّل المعنى بلا صوت تسمعه الأذن وتستقبله قريحة المستمع، "والصوت هو آلة اللفظ، وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت"(٢).

فما يصوره نظم الكلام من خلال جرس الألفاظ، وإيقاعها الداخلي، ونغماتها الموزونة؛ يساهم في تمثُّل المعنى، وتأطيره وفق ما يقتضيه السياق ويستدعيه المقام، ومن هنا ينهض الصوت بالوظيفة البلاغية للكلام، ومن ذلك: ما تداولته كتب النقد القديم من أوصاف الحلاوة والطلاوة والجزالة والرقَّة والعذوبة والجهر والهمس وغيرها من الأوصاف التي تمثل وصالًا وثيقًا بين الصوت والبلاغة، فكلُّ ما يتصل برنين الألفاظ وجرسها وإيقاعها فهو داخلٌ في مضمار البلاغة الصوتية، ولكلِّ حال ما يناسبها من المعاني والأصوات في صورة ترسم مفهوم (مطابقة مقتضى الحال) الذي بنيت عليه البلاغة العربية، وهو ما أشار إليه الجاحظ بقوله: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالةٍ من ذلك مقامًا"(٣)، وهذا ما ينهض به الدرس البلاغي في مضامين أبوابه ومباحثه المختلفة.

وذهب ابن الأثير إلى الاعتماد على القيمة الصوتية في الحكم ببلاغة الكلام من عدمه، فقال مبيناً رأيه فيها: "حاسَّة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ وقبح ما

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ٨٣-٨٤.

(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م: ١/ ٧٩.

(٣) البيان والتبيين: ١/ ١٣٨-١٣٩.

يقبح"[١]، وشرع في إثبات حجته على هذه المسألة مخالفاً ابن سنان الخفاجي الذي يرى اشتراط تباعد المخارج عند الحكم بفصاحة الكلمة[٢]، وهو ما لا يرى ابن الأثير اعتباره شرطاً لازماً لذلك، فمردُّ الحكم بالبلاغة إنما يكون بحكم الذوق السمعي، فما كان منه سهلاً ليناً مقبولاً على السمع حكم ببلاغته وإن تقاربت مخارجه، والعكس بالعكس.

وعلى هذا يمكن القول بأنَّ **البلاغة الصوتية:** "هي كلُّ وسيلةٍ صوتية يتحقَّق فيها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين، فلابد فيها من ملاحظة أمرين: الأول: أن نتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه واعتداله إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده وتسلسله وانتظامه. والثاني: أن يتحقَّق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[٣].

وهذا الانسجام الصوتي والجمال الإيقاعي الذي تتميز به النصوص البليغة له أثره في نفس المتلقي، فهو يثير ذهنه، ويشحذ الخيال نحو الدلالة المعنوية المرادة، "فالإيقاعات الثقيلة الممتدة مع الزمن تشاكل حالات الشجن والحزن، والإيقاعات الخفيفة المتقاربة تشاكل الطرب وشدة الحركة"[٤]، ومن ثَمّ فإنَّ الألفاظ التي تتسم بالانسجام الصوتي يحسن قبولها في السمع، وتنشرح لها في النفس، كما تستقبلها باهتمام وتركيز وشعورٍ يليق بمضمونها المعنوي، والسبب في ذلك يعود إلى مفهوم الاستحسان السمعي على نحو ما أشار إليه ابن الأثير بقوله: "لأنه صوتٌ يأتلف من مخارج الحروف فما استلذَّه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بفصاحة"[٥]، ومن ثَمَّ فإنَّ اتساق الألفاظ وائتلاف حروفها، وجرسها الصوتي المتلائم مع دلالتها المعنوية؛ له تأثيره في النفس، وقبوله في السمع، وذلك داخلٌ في الأثر النفسي الذي تسهم فيه البلاغة الصوتية.

ثالثًا: دور البلاغة الصوتية في إعجاز القرآن الكريم

اعتنى البلاغيون ومن كتب منهم في إعجاز القرآن الكريم بالبلاغة الصوتية ودورها الإعجازي، ومن أولئك أبو الحسن الرماني، وذلك عند حديثه عن (التلاؤم) في آي الكتاب العزيز، واستدعى الحديث عنها في باب (الفواصل)، فقال عند مقارنته بين التلاؤم في الكلام العالي والقرآن الكريم: "وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفطنة من بعض، كما أن بعضهم أشد إحساسًا بتمييز الموزون في الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور

(١) المثل السائر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، د ت: ١/ ١٧٣.

(٢) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م: ٦٤.

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شادي، الرسالة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩هـ–١٩٨٨م: ١١.

(٤) مفهوم الشعر، د. جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٢م: ٣٩٤.

(٥) المثل السائر: ١/ ٩٢.

والأخلاق. والسبب في التلاؤم: تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤمًا"[١]، والغرض من هذا التلاؤم كما بين ذلك بقوله: "الفائدة في التلاؤم: حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس؛ لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة"[٢]، فمقياس الاعتدال حينئذٍ عائدٌ إلى حاسة السمع، وما وقر في الأذن من جرس الصوت، وإيقاع الكلام.

وتعدُّ فواصل الآيات القرآنية مظهرًا صوتيًّا فريدًا، تميَّز به النظم القرآني، وساهم في روعة الأداء وحسن التلاوة التي يؤديها قراء الكتاب العزيز، وقد جعلها الرماني وجهاً من وجوه الإعجاز – وهي كذلك –، فقال في معرض حديثه عنها: "وإنما حسُن في الفواصل الحروف المتقاربة؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة ... والفائدة في الفواصل: دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر"[٣]، وأورد ضمن ذلك عدداً من شواهد آي الكتاب العزيز.

واختيار المعوذتين لدراسة البلاغة الصوتية فيهما جاء لالتماس أسرار النظم القرآني وإعجازه في آياتهما، فقد نزلتا على رسول الله (ﷺ) عندما تعرَّض للسحر من قبل اليهود، حتى ذهب ابن مسعود رضي الله عنه أنهما من قبيل الأدعية وليستا من القرآن خلافاً لإجماع الصحابة رضوان الله عليهم[٤]، والصواب أنَّ المعوذتين من كلام ربِّ العالمين المعجز لجميع المخلوقين[٥]، ودليل ذلك ما جاء عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله (ﷺ): "أنزلت عليّ آيات لم يُرَ مثلهن قط، المعوذتين: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾"[٦].

المبحث الثاني: البلاغة الصوتية في سورة الفلق

يأمر الله تعالى في مطلع هذه السورة الكريمة بالاستعاذة به وحده، فيؤثر دلالة الأمر ﴿قُلۡ﴾ المتضمن دلالة النصح والتوجيه، فنلتجئ إليه سبحانه ونحتمي بحماه "من كلِّ مخلوقٍ فيه شرٌّ،

(١) النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط ٣، ١٩٧٦م: ٩٥-٩٦.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٩٦.

(٣) النكت في إعجاز القرآن: ٩٨-٩٩.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ٢٠/ ٥٦٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م: ٢٠/ ٢٥١.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٨١٤).

فلا يدخل في عمومه إلا كل شـــرير من أيّ العوالم كان"[١]، ومن شـــر الليل وظلمته، إذا أقبل بسـواده المدلهم وذلك لما قد يعتريه من الشـرور والهوام والسـباع، ونحوها من الشـرور العظيمة الخطرة كصـنيع السـحرة المفسـدين، ومن شـر الحسـد والحاسـدين الذين يتمنون زوال النعمة عن خلقه تعالى، والفلق الذي سُـمِّيت به السـورة يطلق ويراد به: "الصـبح، يُقال: هُوَ أبين من فلق الصبح، وفرَق الصبح"[٢]، وقد ساق ابن جرير الطبري خلاف المفسرين في معنى الفلق، وملخص الأقوال يعود إلى ثلاثة: أنه اسمٌ لجهنم، أو هو اسم لسجن فيها أو جُبٌّ أو نحوه، أو هو الصبح على نحو ما قرَّره الفراء ورجَّحه الطبري، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦] [٣]، وهذا المعنى الأخير هو الذي يلتمس من دلالة المطابقة التي تضـمنتها السورة بين الفلق وهو نور الصباح، وشرور الليل الداهم المظلم، فكأنَّه جاء على سبيل المطابقة المعنوية بين ما تشير إليه آيات سورة الفلق في مطلعها وما يليه.

وقد اشتملت السورة الكريمة في نظمها المحكم الموجز البليغ على ألفاظ مكثفة تكتنز جوهرًا دلاليًا عميقًا، ومظهرًا صـوتيًا ولفظيًا معجزًا، وهي ثرية بالقيم الصـوتية والطاقات الموسـيقية التي ترتبط ارتباطًا لا تنفصـم عراه عن مقصـود السورة ومضـامينها ومعانيها، والتي تضـفي على نظم السورة نغماً داخلياً يترنم به القارئ، ويقف عنده المتدبّر مسـتلهماً أسـرار إعجاز النظم وروعة التركيب، وهو ما تبرزه البلاغة الصـوتية وتؤكده من معانٍ ومدلولاتٍ تضـمنتها آيات الكتاب العزيز، ولعل من أبرز المظاهر الصـوتية التي تضـمنتها سـورة الفلق تمثلت في: الجرس الصـوتي، والتكرار، والجناس، والفاصلة.

أولاً: الجرس الصوتي

الناظر في آيات السورة الكريمة يلمس بشكل جليّ مدى التناغم الصـوتي وانسـجام الإيقاع الخفي الذي تضـمنته آياتها، وهو ناشـئٌ من خلال شـيوع الحروف الجهرية كالباء والجيم والراء والغين والقاف واللام، وهي حروف تتسم بوضـوحها في السـمع نتيجة الجهر بها وانحباس الصـوت عند النطق بها، فالنغم الصـوتي الناشـئ من قلقلة القاف وشدتها وتكرارها يعكس ظلال المعنى المراد، ويبرزه ظاهراً للعيان "فالتكرار الصـوتي يخلق جوًّا نغميًّا يعمق المعنى ويسـاعد في إبرازه"[٤]، كما يشـيع تكراره إيقاعاً صـوتياً قويّاً، لما يتسـم به من قوة وشـدة وقلقلة وصـدى مسـموع يلفت انتباه القارئ والسـامع إلى الدلالة المعنوية التي تتضـمنها آيات السـورة الكريمة، ولا يخفى ما في صـفة

(١) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد ابن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط ١، ١٩٨٢م: ٤٠٦.

(٢) معاني القرآن، الفراء، تحقيق: محمد النجار وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١: ٣/ ٣٠١.

(٣) جامع البيان، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٢٤/ ٦٩٩-٧٠٢.

(٤) البيان الصوتي في البيان القرآني، د.محمد حسن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م: ٩٠.

القلقة من انحباس الصـــوت ثم انطلاقه وهذا يتلاءم مع ضـــيق الشـــرور والســـحر ثم انفراجه بالمعوذات وإطلاق احتباس النفس منه، وفي هذا إشـــارة إلى قوة تلك الشـــرور العظيمة وشـــدتها وخطرها، فقد أجملت ما فُصِّل ذكره في القرآن الكريم، واجتمع فيها ما تفرق في آياته من أصناف الشرور كشرور الخلق، وشرور الليالي المظلمة الداجية، وشرور السحرة المفسدين، وشرور الحسد والحاسدين، والتي يقابلها حصن المسلم المنيع وهو الاستعاذة واللجأ إلى القوة والقدرة الإلهية، التي تعصم من تحصَّن بها والتجأ إليها.

وقد ختمت الســـورة الكريمة بصـــوت الدال المجهور المتصـــف بالقوة والشـــدة كالقاف، فهو من الأصـوات الشـديدة التي تتسـم بالقلقلة والانفجار[١]، وهو حرف الدال كما يتصـف بصـفات الشـدة والقوة والجهر فهو متضـــمن لتلك الدلالات المرتبطة بعمق تأثير الحســـد في نفوس أهله، وانفجار شـــظاياه اللئيمة في قلوبهم، وما تعمَّق في دواخلهم من مكنونات قوة الحقد وتمني زوال النعم عن غيرهم، وشـــدة تأثيرهم وما يقع بســـببهم من الشـــرور التي تلحق بالأمم والأفراد، وهي دلالة بليغة عميقة ختمت بها السورة لتكون موقع ختامٍ حسن ملائم لما بدئت به من استهلال بارع بليغ.

وقد تكرر حرف الشين في ثنايا السورة الكريمة وهو من الحروف الرخوة المهموسة وإن كان أقواها صـوتاً لما يعتريه من التفشـي والانتشـار، كما قال سـيبويه: "والشـين لا تدغم في الجيم؛ لأن الجيم اسـتطال مخرجها لرخاوتها حتى تصـل بمخرج الطاء، فاجتمع هذا فيها بالتفشـي"[٢]، هذا التفشـي والانتشـــار يحكي دلالة انتشـــار الشـــرور وتنوعها وتعدد أصـــنافها المذكورة في الآيات الكريمة، واختلاف مصـــادرها وما تعود إليه من شـــرور الخلق وظلمة الليل البهيم، وشـــرور الســـحرة والحاســـدين، "ونحن لا ننظر إلى الجرس في ذاته، لأن العبرة بأهميته في الإشـــعار بالحدث وتصـويره للنفس عن طريق حكاية صـوته، ولذا فكثيراً ما يرتبط الجرس بالإيحاء"[٣]، ومن هنا فإن القيمـة الصـــوتيـة التي تؤديهـا الألفـاظ من خلال الجرس والإيقـاع الـداخلي تعكس قيمـاً بلاغيـة ومعنوية تسهم في بناء المعنى المراد وتصويره.

ثانيًا: التكرار

اتســـمت الســـورة الكريمة ببعض مظاهر التكرار وقد تمثلت في تكرار شـــبه الجملة (الجار والمجرور): ﴿مِن شَـــرِّ﴾، في الآيات الأربع الأخيرة، والتكرار يخلق نوعًا من وحدة الإيقاع الصـوتي المتكرر، ويسـهم التكرار في السـورة سـواءً بتكرار الصـوت نفسـه، أو التركيب الموحد

(١) ينظر: التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، د.أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح، الدار البيضاء-المغرب، ١٩٩٢م: ٢٩٠-٢٩١.

(٢) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٤/ ٤٨٨.

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن: ٢٨.

المكرر "في تشـــكيل الأنغام الحســـنة ويزيد من الإيقاع الجميل والمتميز في آياتها، ويكســـبها انسجاماً موسيقيًا، فالتكرار الصوتي يدلُّ على الترنم الموسيقي، فعلى قدر الأصوات المكررة تتم الموسيقى"(١).

تكرر ذكر الشـــرور في الآيات الثلاث جاء مقابلًا للاســـتعاذة بربِّ الفلق فكأنَّ الذي فلق نور الصبح من ظلمة الليل قادرٌ على أن يزيل كافة الشرور مهما تعاظمت أو تكاثرت عن العائذ به سبحانه، وقد أشار إلى معنى تخصيص الفلق دون غيره من المعاني البيضاوي بقوله: "تخصيصه لما فيه من تغير الحال، وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه، ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار تربية"(٢)، يريد بذلك إيثار لفظ الرب دون غيره من الألفاظ الدَّالَّة على الذات الإلهية، فالرب هو القائم المتصـــرف على تدبير الأحوال والمعايش، كما يقال: رب البيت، ورب الدار ونحوه، والرب في أصله اللغوي يطلق على معانٍ تعود في مجملها إلى معنى: "إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه، ... والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء. والله –جلّ ثناؤُه– الرَّبُّ؛ لأنه مصلحُ أحوالِ خَلْقه"(٣)، وهو ما يضيفه هذا لفظ (الربوبية) للمعنى، فربُّ الفلق سبحانه هو القادر وحده على كفاية خلقه وإعاذتهم وصيانتهم من المخاوف والمضار.

وقد تميز نظم السورة الكريمة بانسجام التأليف الناتج من تكرار شبه الجملة {مِن شَرِّ} في آياتها، فقد أسهم في بناء دلالة صوتية نغمية أخرى، حيث حافظ على وحدة الفاصلة: (الفلق/ خلق – العقد/ حسد)، فلولا التكرار ما استقرت الفاصلة وتمكنت في موقعها من السورة، مما يعمِّق التناغم والدلالة الصوتية في الآيات، "ولعلَّ جمال النغمة وتناسب الإيقاع هو السبب في العدول في كثيرٍ من الآيات عن ألفاظ وقوالب، وعن طرائق من التركيب والتأليف اللغوي المعتاد"(٤)، ومن جهة الناحية الدلالية والمعنوية فقد أضفى تكرار شبه الجملة وتقديمه؛ تأكيداً للمعنى ومزيد رعايةٍ به، وذلك من خلال المبالغة في تصويره ومدى خطورته، وما يفهم من سياق التنكير {شَرِّ} الذي يفيد العموم، لا سيما بإضافة {مَا خَلَقَ} التي تشمل كل ما خلقه الله تعالى على نحو ما قرَّره أبو حيَّان الأندلسي بقوله: "بإضافة شر إلى ما، وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد"(٥)، وهذا العموم مرادٌ من خلال تفصيل أنواع الشر وتعداد مصادره

(١) موسيقا الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط ٢، ١٩٥٢م: ٢٤٤.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ: ٥/ ٣٤٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣٨٢.

(٤) دراسة أدبية لنصوص قرآنية، د. محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٣م: ١٥٦.

(٥) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ١٠/ ٥٧٥.

الواردة في ثنايا السورة الكريمة، مما يؤكد حتمية الاستعاذة به سبحانه، واللجوء إليه والتحصُّن بقوته وقدرته سبحانه.

ثالثًا: الجناس

وهو من الظواهر الصوتية التي أثرت القيمة البلاغية في السورة الكريمة، فالجناس من الأساليب البلاغية التي تحقق الانسجام الصوتي والموسيقي، والتوازن المرتبط بالمعنى والدلالة، وذلك لأن "الانسجام هو سرُّ الجمال، والجناس لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت. من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام، وسرُّ قوته كامنٌ في كونه يقرب بين مدلول اللفظ وصوته من جهة، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ بما يسبغه عليه من الدندنة من جهة أخرى"(١)، وقد أحسن عبد القاهر الجرجاني في تصوير ما يحدثه الجناس من أثر نفسي في روع القارئ والسامع عندما قال مبيناً وظيفته: "أن الشاعر يعيد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها"(٢).

وشاهد الجناس في السورة الكريمة: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿مَا خَلَقَ﴾. أما (الفلق): فهو الصبح الذي ينشقُّ وينفلق من ظلمة الليل، كما يدل عليه أصل المادة اللغوي كما قال ابن فارس: "الفاء واللام والقاف: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فُرْجةٍ وبَيْنُونةٍ في الشيء، وعلى تعظيمِ شيء، ... والفَلَق: الصُّبح؛ لأنَّ الظَّلام يَنْفلِقُ عنه ... والفَلق: الخَلْق كله، كأنَّه شيءٌ فُلِق عنه شيء حَتَّى أُبرِزَ وأظْهِر"(٣)، انظر كيف عاد معنى الفلق إلى الصبح، ثم جعل الخلق كله من معاني الفلق، ولا يخفى جمال ما يطويه هذا التناسب المعنوي بين فاصلتي السورة الكريمة، فالفلق وإن دل على الصبح في أصل إطلاقه اللغوي، إلا أنه ينطوي على معانٍ متعددة من ضمنها: ما يعود إلى معنى الخلق، وهو المشار إليه في الآية التي تليها: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

وصوت القاف بما فيه من شدَّةٍ وقوَّةٍ وجهر وقلقلة ملائم للإيحاء بهذا الانفلاق وانشقاق ضوء الصبح ونوره من دجى الليل البهيم، وهو من آيات الله التي تعكس عظمته وقدرته وإحكام تدبيره للكون الفسيح، ولذا آثر السياق إضافته إلى مدلول الربوبية ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، مما اكتسى معه اللفظ عظمةً لاقترانه بذكر ربوبيته وعظمته سبحانه وتعالى، ومن أهم دلالات الربوبية العناية والإنعام وهذا مقصود في المعوذتين؛ إذ إنها نزلت عنايةً برسول الله وأمته من بعده ووقايةً لهم من الشرور، وهذا من أجل النعم عليهم، كما أنه تعالى لما أخرج الضياء وفلق الصبح من ظلمة

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط ١، ١٩٥٥م: ٢/ ٢٦٢.

(٢) أسرار البلاغة: ٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٥٢.

الليل، فهو القادر وحده على حماية من يعوذ به، وتحصين من يلتجئ إليه من كلِّ مكروه، ولذا فالجناس هنا يستلمح منه وجه المقابلة بين قدرته سبحانه وعظمته، وبين شرور خلقه التي تزول وتتلاشى مهما عظمت حين يلجأ المؤمن إلى حصنه فيستعيذ بربه من الشرور.

وفي الجناس بين: {حَاسِدٍ} و{حَسَدَ}؛ إضافةً إلى الدلالة الصوتية، والنغم الصوتي الناشئ من تكرار الأصوات المتشابهة، ففيه أيضاً إشارةٌ إلى شرِّ الحاسد، وتأثير صنيعه، وشدَّة خطره، وما قد يثيره الحسد في نفس المحسود من قلقٍ نفسي، ومن ثَمَّ فقد ارتبط الجناس بدلالة صوتية منسجمة متناغمة، إلى جانب ارتباطه بالمعنى في الآيات الكريمة ارتباطاً وثيقاً.

رابعًا: الفاصلة

من الظواهر الصوتية التي تثري القيمة البلاغية في الآيات الكريمة ما تميزت به فواصلها، ويعنى بها: أواخر الكلم في كل آية، وهي بموقعها من الآية الكريمة بمنزلة القافية من الشعر، قال الرماني: "الفواصل حروفٌ متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعنى"(١)، ومما تتميَّز به الفاصلة في القرآن الكريم ارتباطها الوثيق بالمعنى إلى جانب دلالتها البلاغية ووظيفتها الإيقاعية، فهي تضفي على النص القرآني قيمةً صوتية متناسقة، وذلك من خلال الإيقاع المنتظم الناتج عن توازن الجمل والعبارات، وهي مظهرٌ فريد من مظاهر الإعجاز في النظم القرآني، قال الزركشي: "فالفاصلة تأتي للمحافظة على حسن النظم والتئامه"(٢).

وما نلمسه في فواصل سورة الفلق من وحدة النغم، وتقارب حروف الفواصل وتشاكلها، يعمِّق بدوره من أثر القيمة الصوتية وانسجامها وتناغمها، وملاءمتها للدلالة المعنوية التي يقتضيها السياق القرآني، فتنتظم آيات السورة الكريمة لتُشكِّل عقدًا فريدًا متناسبًا، انتظمت صدور الآيات بفواصلها: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿خَلَقَ﴾، ﴿وَقَبَ﴾، ﴿ٱلْعُقَدِ﴾، ﴿حَسَدَ﴾، فقد تكرَّر حرف القاف في الفاصلتين الأوليين، والدال في الفاصلتين الأخيرتين، وفصلت بينهما فاصلة الباء لتكون بذلك انتقالًا سلسًا بين مطلع السورة وختامها، وكسرًا للإيقاع الذي تكررت فيه حروف الفواصل قبلها وبعدها، وذلك طرداً للملل، وتنشيطاً لذهن السامع، واطّراح السأم عنه، وهذا التفنن والتلوين في حروف فواصل السورة على وجازة نظمها، يساهم في تنوع الإيقاع الذي يختلف تبعاً لدلالة المعنى والمضمون، فما كان أوفى في قضاء حق المعنى المراد كان استدعاء البناء الصوتي واللفظي له أقرب من غيره.

ومما يُلحظ في حروف الفواصل (الباء والدال والقاف) أنها تنتظم في حقل واحد تتسم حروفه بالجهر والقوة والشدة، "والصوت المجهور أقوى من المهموس، فللصوت المجهور دويٌّ يتكون

(١) النكت في إعجاز القرآن: ٨٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م: ٢/ ٧٢.

باهتزاز الوترين الصوتيين"[1]، فالأصوات الثلاثة تلتقي في الوضوح السمعي والجهر والشدة، مما يلائم قوة المعنى ويرتبط بالدلالة ارتباطًا وثيقًا، فتناسب الأطراف المتمثل في فواصل الآيات القرآنية ينهض بتعميق الدلالة التي يؤثرها السياق ويرومها، فتكون الفاصلة بذلك مستقرَّةً في مكانها غير نابية أو قلقة.

المبحث الثالث: البلاغة الصوتية في سورة الناس

سورة الناس اتفقت مع سورة الفلق في مطلعها، بدأت بالأمر ﴿قُلۡ﴾ والذي تفرَّع من الدلالة الأصلية للأمر إلى دلالة النصح والتوجيه والإرشاد للناس، وضرورة الاستعاذة بالله سبحانه وطلب العون منه جلَّ شأنه، فنحتمي ونلوذ بقدرته وعظمته من شياطين الإنس والجن الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء[2]، فهو سبحانه ربُّ الناس وخالقهم ومدبر شؤونهم، وهو ملك الناس فله الملك والسلطان، والإله المستحقُّ للعبادة دون غيره، وقد اقترنت بها وناسبتها فكان النبي (ﷺ) يعوِّذ بهما سبطيه (الحسن والحسين رضي الله عنهما)، وذلك لما ينتج عن اقترانهما من كفاية المستعيذ من الشرور الظاهرة والباطنة، فقد انطوت الاستعاذة في معناها الوارد ضمن سورة الفلق: الشرور الظاهرة التي يراها الناس بأعينهم، ويلامسونها بحواسهم، بينما تضمنت سورة الناس معنى الاستعاذة من الشرور الخفية الباطنة التي لا تُرى بالعين المجردة، والمتمثلة في وسوسة الشيطان الرجيم، وما دقَّ وخفي من كيده اللئيم. فكان اقترنهما شاملاً لأصناف الشرور والمكائد الظاهرة والباطنة، فمن استعاذ بهما فقد استكمل حصنه المنيع من الشرور التي تحيط به سواءً ما وقع منها في حيز الرؤية أو كان مستترًا خفيًا.

ويمكن تلخيص البلاغة الصوتية التي تضمنتها سورة الناس فيما يلي: الجرس الصوتي، والتوازن الصوتي، والتكرار، والفاصلة.

أولًا: الجرس الصوتي

تميزت سورة الناس بالجرس الصوتي الفريد، وقد تمثل في تكرار وشيوع صوت السين في آياتها، حيث تكرر عشر مرات، ويعدُّ أكثر الأصوات شيوعاً وتكرارًا، وهو من الحروف المهموسة الرخوة الرقيقة التي تتسم بالخفة والاستفال والضعف والصفير والنغم الواضح[3]، وهذه الصفات الصوتية والسمعية جميعها جعلته أفضل الأصوات اللغوية وأنسبها لملاءمة الدلالات المعنوية في آيات

(١) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٩٢م: ٢٠.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الجزائر، ط ٥، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ٣/ ٦٢٥.

(٣) ينظر: التناسب البياني في القرآن: ٢٩٠-٢٩١، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، الفجالة، القاهرة، ط ١: ٣٥٨-٣٥٩.

سورة الناس، فالسين بضعفه ورخاوته جاء ملائماً للدلالة على ضعف النفس البشرية أمام إغواء الشيطان وكيده اللئيم، كما يوحي بظلالٍ معنوية أخرى مرتبطة بمدى افتقار الناس وحاجتهم لربهم واستعانتهم به، كما أنَّ السين بصفاتها تلائم – بهمسها وهدوء مخرجها وصفيرها الرقيق – وسوسة الشيطان وكيده الخفي، فهو يهمس لهم بصوت خفيض مستتر تسمعه دواخل النفوس، وتحسه مكنونات الضمائر، وذلك دون صوتٍ جهري قوي، وهذا في غاية الملاءمة المعنوية لتصوير ضعف كيد الشيطان، وانخناسه عند ذكر الله تعالى والاستعاذة به واللجوء إليه، وهو ما صوَّره الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ومن ثَمَّ كانت السين أنسب الأصوات تعبيرًا وملاءمةً لمعاني دلالات السورة الكريمة، فهي الأنسب للدلالة على:

- ضعف الناس أمام غواية الشيطان.
- ضعف الناس وشدة افتقارهم لربهم.
- ضعف كيد الشيطان، وفراره أمام ذكر الله والاستعاذة والاستعانة به.

لذلك، كله فإنَّ الجرس الصوتي لحرف السين، وصفاته الصوتية والسمعية لها دورها الفعَّال في الإيحاء بالمعنى والارتباط به، وحمل ظلاله والدلالة عليه، كما تنهض بتحريك الخيال وإثارة الذهن لتصوير فعل الشيطان وغوايته للبشر، ومدى ضعفهم وافتقارهم لربهم، وضعف الشيطان أمام قدرة الله وقوته، وقد أشار إلى ذلك العقَّاد عند حديثه عن خصائص حرف السين وسماته الصوتية، حيث قال: "وحرف السين على نقيض الميم، لدلالته على المعاني اللطيفة والخفية كالهمس والوسوسة والنبس والمس والمساس والاقتباس، ولكنه يتغير إذا تغيَّر موقعه من الكلمة، كما يلاحظ في المشابهة اللفظية بين السَّدِّ والشَّدِّ والصَّدِّ"(١)، وهذه الإشارة من العقاد التي يبيّن فيها تغير الدلالات الصوتية للحروف تقودنا إلى ملاحظة مهمة تكمن في عدم اعتبار الدلالة الصوتية والمعنوية للحرف في تأسيس المعنى بل هي معزِّزةٌ له تؤيده وتدعمه، لكنها لا تنهض بتأسيسه وإنشائه على الإطلاق، فموقع الحرف عندما يتغير يتبع ذلك تغير المعنى، فلا يمكن أن يكون الحرف أو الصوت مرسوماً للدلالة على معنى واحد لا يتبدَّل أو يتغير.

ثانيًا: التوازن الصوتي

(١) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس العقاد، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٦، ١٩٨٨م: ٤٦.

من القيم الصوتية البارزة في سورة الناس التوازن والتناسب الصوتي، الذي يعكس توازن الإيقاع في آيات السورة، وتساوي إيقاعها، فالتوازن "يشمل ما يكون بين آيتين أو أكثر من تعادل في عدد الكلمات، أو في أوزانها الصرفية والعروضية، وفي عدد المقاطع الممدودة والمقصورة"(١)، وهو من أبرز مظاهر التناسب الإيقاعي الذي يحمل في طيَّاته نغمًا صوتيًا منسجمًا وإيقاعًا متساويًا، وقد أشار إلى قيمته البلاغية أبو هلال العسكري بقوله: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات، فضلاً عما تزاوج في الفواصل منه"(٢)، وهو يشير بذلك إلى ما يضيفه التوازن والتوازي في مقاطع الكلام وتقسيماته من مظاهر البلاغة والتأثير في نفس المتلقي.

وقد تحقَّق الإيقاع الصوتي المتوازن الناشئ من الازدواج من خلال التركيب الإضافي: بِرَبِّ ٱلنَّاسِ، مَلِكِ ٱلنَّاسِ، إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ، صُدُورِ ٱلنَّاسِ؛ ففي هذه التراكيب الإضافية إلى جانب الدلالة الصوتية والإيقاعية المنسجمة المتناسقة، نلمس دلالة معنوية توحي بإضافة تشريف وتكريم للعباد بانتسابهم لربهم وخالقهم، كما توحي بمدى افتقارهم لربهم وحاجتهم إليه سبحانه، كما تبرز ظلالاً معنوية أكثر قوةً ووضوحاً تتمثل بأنهم ما داموا بقرب ربهم –تعالى– فهم في حصنٍ منيع وركن شديد، وحمايةٍ من كيد الشيطان وغوايته، فإذا انفصلوا وابتعدوا عن ربهم تبارك وتعالى صاروا هدفًا سهل المنال للشيطان الرجيم وكيده اللئيم.

وعند تأمُّل الدلالات الصوتية في مدلولات الألفاظ الدالة على الذات الإلهية في تلك التراكيب الإضافية: {رب، ملك، إله}، وما تكتنزه من أصوات الراء المكررة والباء والميم واللام، التي تتضمن صفات الشدَّة والقوَّة والجهر، كما تتسم بالرنين والوضوح السمعي، وإيقاع النغم العالي الملائم لما تشير إليه مضامينها من العلو والعزة والقوة الإلهية، وما تنطوي عليه من دحض كيد الشيطان ومكره.

ثالثًا: التكرار

تميزت سورة الناس كسابقتها سورة الفلق بتلك القيمة الصوتية البارزة وهي التكرار، فقد تكررت في ثناياها مفردة ﴿ٱلنَّاسِ﴾ خمس مرات، ولا غرو في ذلك فبها سُمِّيت، فالنَّاس هم مادة الوسوسة التي هي فعل الشيطان، ومدار مكره وكيده للإيقاع بهم وإغوائهم، وهذا التكرير الذي اكتنزته آيات السورة الكريمة أضفى عليها مزيداً من الإيقاع الصوتي المتجانس، وكشف عن البنية التي

(١) التناسب البياني في القرآن: ٣٢٩.

(٢) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، ط ٢، ١٩٧١م: ٢٦٧.

يستهدفها الشيطان بوسوسته وكيده، فالتكرار يبيّن ما يهتم به السياق، ويروم ترسيخه في ذهن القارئ والسَّامع، من خلال إعادة ذكره وإظهاره في موضع الإضمار عوضاً عن الضمائر وأدوات التعريف الأخرى، لشحذ همة المتأمل وتركيز نظره على مغزى السورة ومقصودها.

كما تكرَّر مضمون الإشارة إلى الذات العلية بثلاثة ألفاظ: بِرَبِّ ٱلنَّاسِ، مَلِكِ ٱلنَّاسِ، إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ؛ جاءت كلها في سياق الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان، ولا يمكن أن يكون حشد هذه الألفاظ المتوالية التي تشير إلى الذات الإلهية دون غرضٍ مهم، ويمكن تفسير ذلك من خلال التماس تأثير الوسوسة، ووقعها في النفس البشرية، وهو ما فارقت فيه سورةُ الناس سورةَ الفلقِ، التي اكتفى السياق فيها باستعاذة واحدة من كل الشرور التي خلقها الله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، خلافًا لسورة الناس التي اجتمع فيها الاستعاذة بأوصاف الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ثلاث استعاذات من متعوَّذٍ منه واحد: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾، في إشارة واضحة لا تدع محلاً للتردد تبيّن خطر الوسوسة التي يمتهنها الشيطان الرجيم، وما يمكن أن تصل به النفس البشرية بفعلها إلى أردى المهالك، وهو ما عبَّر عنه المصطفى (ﷺ) بقوله فيما رواه ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قالَ: "ما مِن مَولودٍ إلَّا على قَلبِهِ الوَسواسُ، فإنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإنْ غَفَلَ وَسْوسَ، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾"[1]، وقد عبَّر أبو حيّان الأندلسي عن هذا المعنى بقوله: "ولما كانت مضرة الدين وهي آفة الوسوسة، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث: الرب والملك والإله، وإن اتحد المطلوب. وفي الاستعاذة من ثلاث: الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب، وإن تكثر الذي يستعاذ منه"[2].

وهذا التركيب ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ يعد من التراكيب الفريدة المبتكرة التي سبق إليها النظم القرآني، وهي متصلةٌ في الوقت نفسه بمقاصد السورة ومضامينها الرئيسة، فمدارها قائمٌ على: (مادة الوسوسة) التي جاءت على هيئة الصفة: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾، وجاءت كذلك على هيئة الفعل: ﴿يُوَسۡوِسُ﴾، ولا يخفى ما بينهما من جناس بلاغي ينهض بجانب إثراء الدلالة الصوتية الناشئة من توافق الحروف والأصوات، فله دلالات معنوية أخرى تضاف إلى ما تميزت به السين – وسبق ذكره – من ضعفٍ وخفة ورقَّةٍ وصفير، وقيمٍ صوتية لينة هادئة ومهموسة، تلائم ضعف الشيطان أمام ذكر الله واللجوء إليه سبحانه، يعضدها في ذلك تجاورها مع أصوات اللين: الألف والواو والياء؛ "لأنَّها تخرج من النطق في لينٍ من غير كلفةٍ على اللسان واللهاة"[3]، وإطلاق الوسوسة على فعل الشيطان الذي يمليه في ضمائر الناس من قبيل المجاز العقلي، فليس

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، برقم: ٤٠٣٩.

(٢) البحر المحيط: ١١/ ٥٣.

(٣) التناسب البياني في القرآن: ٢٩١.

للشيطان صوت حقيقي في دواخل الإنسان، كما بيَّن ذلك الطاهر ابن عاشور بقوله: "بالنسبة لوسوسة الناس فهو مجاز عقلي لأن وسوسة الناس سبب لوقوع أثرها في الصدور، فكان في كلِّ من فعل ﴿يُوَسۡوِسُ﴾ ومتعلِّقه استعمال اللفظين في الحقيقة والمجاز"(١).

ومما يلحظ في صيغتي مادة الوسوسة: {الوسواس/ يوسوس} ما تميَّزت به من سمة التكرير، فهي من الأبنية الرباعية المكرَّرة التي تشي بمدلول التكرار والاهتزاز الذي يعتري من قام بفعل الوسوسة وهو الوسواس (الشيطان الرجيم) مع ما في الصيغة من هيئة توحي بصورة فعله وما يقوم به من كيدٍ لئيم لإغواء البشر وإضلالهم، مع المبالغة والإصرار على الفعل وعدم متاركته واليأس منه، فهو ديدنه المستمر، كما يوحي بذلك بناء الفعل ﴿يُوَسۡوِسُ﴾ بما يتضمنه من معنى الحدوث والتجدد والاستمرار، فهو يتضمن قيمة بلاغية كامنة من خلال الاستعارة المكنية حيث شبه الشيطان – الذي لا يراه ولا يشعر به أحدٌ ولا يعرف هيئته المحسوسة – في صورة إنسانٍ محسوس مسموع، يمشي بين الناس ويوسوس لهم ويغويهم ويزين لهم المعاصي والمحرمات، ولا يخفى موقع تجسيد الصورة المعنوية للشيطان، وما تؤديه من مبالغة وتأكيد لإغوائه، وتحذيرٍ من خطره وشرِّه.

ومن الصيغ الصوتية ذات الإيقاع البارز في السورة صفة الشيطان التي قرنت بالوسواس: ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾، أي: الضعيف الخفي الذي ينخنس ويزول عند ذكر الله – تعالى – والاستعاذة به، والنون المشدَّدة تحدث جرسًا صوتيًّا ونغمًا واضحًا مسموعًا عند النطق، هذا الجرس والنغم الصوتي المسموع يلائم إصرار الشيطان وهمته التي لا تعرف الكلل لغرض إغواء الناس وإضلالهم وسوقهم إلى سخط الله وعذابه، فالتضعيف الذي تكتنزه الصفة يجسَّد ما عليه حال الشيطان ويؤكده، "فالقيمة الحقيقية للألفاظ لا تنحصر فيما تولده من متعةٍ حسيةٍ كامنة في جرس الحروف أو توالي الأصوات ...، بل فيما يكمن خلف الألفاظ من معانٍ بعيدة، وأبعادٍ لا محدودة"(٢).

رابعًا: الفاصلة

جاءت الفاصلة في سورة الناس متفقة الروي لتثري بذلك الدلالة الصوتية المنسجمة، فارتبطت بالمعنى المقصود تمام الارتباط بـ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ و﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾، ففي النصف الأول من السورة والذي تمثَّل في الآيات الثلاثة الأولى ارتبطت بضرورة الاستعاذة والتحصُّن بربِّ الناس ومالك أمورهم ومدبِّر شؤونهم ومعبودهم الأوحد دون غيره، ليكون لهم حصنًا وملاذًا آمنًا من كيد الشيطان

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٣٠/ ٦٣٤.

(٢) عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م: ٦٦.

ووسوسته، وفي النصف الثاني الذي يليه ارتبطت الفاصلة بالدلالة على أمرين، أحدهما: بيان كيد الشيطان وإغوائه، والتأكيد على شرّهِ وخطره على النفوس، والثاني: ما توحيه أصوات الفاصلة من ضعفه وهوانه وتهافت قوته حين يستعيذ المؤمن بربه ويلتجئ إليه، ثم تعود الفاصلة بعد ذلك لتلتحم مع مطلع السورة بتكرار لفظ الناس، في انسجامٍ بديع يخلق نغمًا صوتيًا متفردًا، لا ينفكُّ عن دلالته المعنوية، حتى ختمت السورة ببيان قوة تأثيره على صنفي الخلق: الجن والناس، فلا يكاد يسلم من وسوسته مخلوق، حتى الجنّ وهم العالم الغيبي الخفي، الذي ستره الله عن أعيننا، ولكنه لم يستتر عن وسوسة الشيطان وكيده، وفي هذا من إحكام الفتنة التي لا مناص عنها دون استعاذة ولجوءٍ صادقٍ إلى الله تعالى.

وفي تقديم ذكر الجنَّة على الناس إلى جانب الملاءمة الصوتية للفواصل في السورة الكريمة، مزيد اهتمام ببيان تأثير الشيطان على ما كان مستترًا خفيًا قبل الظاهر المرئي بالعين المشاهدة، وهذا للتأكيد على ما تكرَّر بيانه من خفاء خطر الوسوسة ودقَّة أمرها على الجن المستخفين عن الأبصار قبل الإنس الذين نشاهدهم ونراهم.

ومما يلحظ في فواصل سورة الناس أن الروي فيها جاء مصاحباً لألف المد ﴿ٱلنَّاسِ﴾ و﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾، وكثيرًا ما تقترن فواصل القرآن الكريم بحروف المد، وقد يكون أبو الفتح عثمان ابن جني من أولئك الذين سبقوا إلى التعليق على هذه القضية حيث قال: "فإن قيل: ولِمَ لمْ يتمكن حال المد إلا أن يجاور الطرف؟ قيل: إنما جيء بالمدِّ لنَعْمته وللين الصوت به، وذلك أنَّ آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة والأَوْن، فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يخفض من غُلَوَاء الناطق واستمراره على سنن جريه وتتابع نطقه، ولذلك كثرت حروف المدِّ قبل حرف الروي – كالتأسيس والرِّدف – ليكون ذلك مؤذنًا بالوقوف، ومؤديًا إلى الراحة والسكون، وكلَّما جاور حرف المد الرويَّ كان آنس به وأشدَّ إنعاماً لمستمعه"[1]، وهذه الإشارة البديعة تكشف عن موقع القيمة الصوتية، ودورها في الإعجاز القرآني، وهو ما وقف عليه د. عز الدين السيد عندما تناول هذه القضية فقال: "والمدود في الفواصل وهي نهايات الدفقات الصوتية للجمل عند الوقف، نجد لها في القرآن من الحلاوة والإطراب حظًّا يثير الإحساس بأن لها دخلاً كبيراً في الإعجاز، وهي إما مدود مطلقة يوقف عليها بصوتها، وإما ملحقةٌ بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرر في كلمة الفاصلة، فيضاعف التكرير قيمتها بما لا يخفى جماله وأسرار إيقاعه"[2]، وهذا المد المصاحب لروي الفاصلة في سورة الناس، هو ما خلَتْ منه فواصل سورة

(١) الخصائص: ١/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين السيد، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٧٦م: ٦٥

الفلق، فقد جاء الروي فيها بحروف القلقلة (القاف والباء والدال) المردوفة بالحروف الصـــحيحة الملائمة لمضمون السورة وموضوعها.

الخاتمة

بعد استعراض ما جاء في بلاغة القيمة الصوتية ودورها في إعجاز القرآن الكريم من خلال تحليل المعوذتين، والوقوف على ما ورد فيهما من أثر القيمة الصـــوتية، يمكن تلخيص ما جاء في ثنايا البحث فيما يلي:

– اهتم علماء العربية الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد وأبو الفتح عثمان ابن جني، حيث عقد الأخير فصلاً في كتابه "الخصائص" عنونه بـــ: "**تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**"، وفصلاً آخر بعنوان: "**إمســـاس الألفاظ أشـــباه المعاني**"، وأشـــار فيهما إلى ما ذكره الخليل في التوفيق بين الدلالتين الصوتية والمعنوية.

– حركة **الصوت** أكثر دقَّة من **الحرف**، فالعلاقة بينهما عموم وخصوص، فالصوت أخص متعلقاً بما يســـمعه الإنســـان، أما الحرف فهو أعم وأشـــمل متعلقاً بهيئات الحرف وأصـــواته وحركاته المختلفة.

– يمكن تعريف **البلاغة الصـوتية** بأنها: كلُّ وسـيلةٍ صـوتية يتحقَّق فيها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين.

– من أبرز المظاهر الصوتية التي تضمنتها **سورة الفلق**: الجرس الصوتي، والتكرار، والجناس، والفاصلة.

– اتسمت سورة الفلق **بالتناغم الصوتي وانسجام الإيقاع** الخفي الذي تضمنته آياتها، وهو ناشئٌ من خلال شـــيوع الحروف الجهرية كالباء والجيم والراء والغين والقاف واللام، كما تميز نظمها بانســـجام التأليف الناتج من **تكرار** شـــبه الجملة {من شـــرِّ} في آياتها، فقد أســـهم في بناء دلالة صـوتية نغمية أخرى، حيث حافظ على وحدة الفاصـلة: (الفلق / خلق – العقد / حسـد)، يضـاف إلى ذلك: **الجناس**، فهو من الأساليب البلاغية التي تحقق الانسجام الصوتي والموسيقي، والتوازن المرتبط بالمعنى والدلالة، وهو من الظواهر الصـــوتية التي أثرت القيمة البلاغية في الســـورة الكريمة، ومنها أيضـاً: وما نلمسـه في فواصـل السـورة من وحدة النغم، وتقارب حروف **الفواصـل** وتشـاكلها، يعمِّق بدوره من أثر القيمة الصـوتية وانسـجامها وتناغمها، وملاءمتها للدلالة المعنوية التي يقتضيها السياق القرآني، وهو ما نجده في حروف الفواصل (الباء والدال والقاف) التي تنتظم في حقل واحد تتسم حروفه بالجهر والقوة والشدة.

– من أبرز ملامح القيم الصـــوتية التي تضـــمنتها **ســـورة الناس:** الجرس الصـــوتي، والتوازن الصوتي، والتكرار، والفاصلة.

– تميزت سـورة الناس **بالجرس الصـوتي** الفريد، وقد تمثل في تكرار وشـيوع صـوت السـين في آياتها، فقد تكرر عشر مرات، وهو أكثر الأصوات شيوعاً وتكراراً، ومنها ما نلحظه في آياتها من تحقَّق **الإيقاع الصوتي المتوازن** الناشـئ من خلال التركيب الإضـافي: {ربِّ الناس، ملك الناس، إله الناس}، ففي هذه التراكيب الإضـــافية إلى جانب الدلالة الصـــوتية والإيقاعية المنســـجمة المتناسقة، نلمس دلالة معنوية توحي بإضافة تشريف وتكريم للعباد بانتسابهم لربهم سبحانه، وقد اتســـمت كســـابقتها **بالتكرار**، فقد تكرر في ثناياها مفردة {النَّاس} خمس مرات، فالناس هم مادة الوسـوسـة التي هي فعل الشـيطان، ومدار مكره وكيده للإيقاع بهم وإغوائهم، وقد أضـفى عليها مزيداً من الإيقاع الصوتي المتجانس، وكشف عن البنية التي يستهدفها الشيطان بوسوسته وكيده، فالتكرار يبيّن ما يهتم به السـياق، ويروم ترسـيخه في ذهن القارئ والسـامع، من خلال إعادة ذكره وإظهاره في موضـع الإضـمار عوضـاً عن الضـمائر وأدوات التعريف الأخرى، لشـحذ همة المتأمل وتركيز نظره على مغزى السورة ومقصودها.

– من الفوارق الأســـلوبية بين المعوذتين اختلاف النمط الصـــوتي **للفواصـــل** بينهما، وذلك تبعًا لقضـاء حق المعنى واسـتدعائه، فجاءت الفاصـلة في سـورة الناس متفقة الروي لتثري بذلك الدلالة الصوتية المنسجمة، على خلاف التلوين الوارد في حروف الروي لفواصل سورة الفلق، الذي جاء على سبيل التفنن والإعجاز، واقتضاء المقام.

– عدم اعتبار الدلالة الصـــوتية والمعنوية للحرف في تأســـيس المعنى، بل هي **معزِّزةٌ له تؤيده وتدعمه**، لكنها لا تنهض بتأسيسه وإنشائه على الإطلاق، فموقع الحرف عندما يتغير في الكلمة يتبع ذلك تغير معناه ودلالته، فلا يمكن أن يكون الحرف أو الصـوت مرسـوماً للدلالة على معنى واحد لا يتبدَّل أو يتغير.

– يوصـي الباحث بعد ذلك بمواصـلة السـير في هذا المضـمار وإثراء المكتبة البلاغية بالأبحاث والدراسات التي تفيد من توظيف القيم الصوتية لخدمة قضايا البلاغة والإعجاز القرآني.

هذا وصلى الله وسلم وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

ابن الأثير، ضـياء الدين، المثل السـائر المثل السـائر في أدب الكاتب والشـاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، ط ١، ١٣٩٣هـ.

ابن باديس، عبدالحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشـؤون الدينية، الجزائر، (ط ١)، ١٩٨٢م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: د. محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (ط ١)، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (ط ١)، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (ط ١)، ١٩٨٤م.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (ط ١)، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء–المغرب، (ط ١) ١٩٩٢م.

الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (ط ١)، ١٤٢٠هـ.

أنيس، إبراهيم، موسيقا الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (ط ٢)، ١٩٥٢م.

البيضاوي، أنوار التنزيل، تحقيق: محمد عبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط ١)، ١٤١٨هـ.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السـلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط ٧)، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السـلام هارون، دار الجيل، لبنان–بيروت، (ط ١)، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسـرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود شـاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، (د.ط)، ١٤١٢هـ.

حسن، محمد، البيان الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، (ط ١)، ١٩٨٨م.

الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (ط ١)، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

الرماني، علي بن عيسـى أبو الحسـن، النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضـمن: ثلاث رسـائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة–مصر، (ط ٣)، ١٩٧٦م.

الزركشـي، برهان الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصـطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط ١)، ١٩٨٨م.

سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط ٣)، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، (ط ٢)، ١٤٠٧هـ–١٩٧٦م.

السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد وآخرون، مكتبة دار التراث، القاهرة، (ط ٣)، ١٤٠٩هـ.

شادي، محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الرسالة، القاهرة، (ط ١)، ١٤٠٩هـ–١٩٨٨م.

صالح، عبد الفتاح، عضوية الموسيقى في النص الشعري، مكتبة المنار، الأردن، (ط ١)، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

الطبري، ابن جرير، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، (ط ١)، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، (ط ١)، ١٩٥٥م.

عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط ٣)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، (ط٢)، ١٩٧١م.

عصفور، جابر، مفهوم الشعر، دار الثقافة، القاهرة، (ط ١)، ١٩٨٢م.

العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط ٦)، ١٩٨٨م.

الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (ط ١)، ١٩٥٥م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي وآخرون، دار ومكتبة الهلال، (ط ١)، ١٤٢٥هـ.

القرطبي، محمد ابن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط ٢)، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

المبارك، محمد، دراسة أدبية لنصوص قرآنية، دار الفكر، بيروت، (ط ٣)، ١٩٧٣م.

المراجع العربية بالحروف اللاتينية

Al-Jurjani, Abu Bakr ʿAbdelQahir Ben Abderrahmen al-Raḥman, *"The Secrets of Eloquence"*, ed. Maḥmoud Shakir, Almadani Press. Cairo, n.d., 1412 H.

Al-ʿAqqad, ʿAbbas Maḥmud, Various Collections in Language and Literature**"**, Dar alMaaref, Cairo, Egypt, 6th ed., 1988.

Al-Baydawi, Lights of Revelation, ed. Muḥammad ʿAbderrahmen, House for the Revival of Arab Heritage. Beirut, 1st ed., 1418 H.

Al-Andalusi, Abu Ḥayyan, The Encircling Sea, ed. Sidqi Muḥammad Jamil, Dar al-Fikr, Beirut, n.d., 1420 AH.

Al-Zarkashi, Burhan al-Din, The Proof in the Sciences of the Quran, ed. Muṣṭafa ʿAbdelQadir, Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut, n.d., 1988.

Shadi, Muḥammad Ibrahim, Phonetic Rhetoric in the Quran, Al-Risala, Cairo, 1st ed., 1409H/1988.

Ḥasan, Muḥammad, Phonetic Rhetoric in the Quranic Discourse, Dar al-Ṭiba al-Muḥammadiyya, Cairo, 1st ed., 1988.

Al-Jaḥiẓ, Abu ʿUthman ʿAmr ibn Baḥr, Clarity and Clarification, ed. ʿAbd al-Salam Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 7th ed., 1418 H / 1998.

Ibn Ashur, Liberation and Enlightenment, Tunisian House Publishing, Tunis, n.d., 1984.

Al-Sayyid, ʿIzz al-Din, Repetition**:** Between Stimulusand Impact, ʿAlam al-Kutub, Beirut, 2nd ed., 1407 H / 1976.

Abu Zayd, Aḥmad, Rhetorical Proportionality in the Quran**:** A Study in Semantic and Phonetic Structure, Al-Najaḥ Press, Casablanca, Morocco, n.d., 1992.

Al-Ṭabari, Ibn Jarir, "Comprehensive Explanation", al-Risla association, 1st ed., 1420 H / 2000.

Al-Qurṭubi, Muḥammad ibn Abi Bakr, The Compiler of the Rules of the Quran, ed. Aḥmad al-Bardunī & Ibrahim Aṭfīsh, Dār al-Kutub al-Miṣriyya, Cairo, 2nd ed., 1384 AH / 1964.

Al-Jaḥiẓ, Abu ʿUthman ʿAmr ibn Baḥr, The Everlasting, ed. ʿAbd al-Salam Harun, Dar al-Jīl, Lebanon-Beirut, n.d., 1416 H / 1996.

Al-Mubarak, Muḥammad, Literary Study of Quranic Texts, Dar al-Fikr, Beirut, 3rd ed., 1973.

Al-Khafaji, Ibn Sinan, TheSecrets of Eloquence, Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut-Lebanon, n.d., 1402 H / 1982.

Ibn Jinni, Abu al-Fatḥ ʿUthmān, Secret of the Art of Syntax, ed. Muḥammad Ḥasan Muḥammad Ismail, Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1421 H / 2000.

Al-ʿAskari, Abu Hilal, The Two Arts, ed. ʿAli al-Bajawi & Muḥammad Abu al-Faḍl Ibrahim, ʿIsaa al-Ḥalabi Press, 2nd ed., 1971.

Salih, ʿAbd al-Fatteḥ, The organic role of music in the poetic text, Al-Manar Library, Jordan, 1st ed., 1405 H / 1985.

Al-Farahidi, al-Khalil ibn Aḥmad, The Eye, ed. Mahdī al-Makhzumi et al., al-Hilal Library, n.d.

Sībawayh, The Book, ed. ʿAbd al-Salam Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd ed., 1408 H / 1988.

Ibn ʿAdil al-Ḥanbali, The Core of the Sciences of Quran, ed. ʿAdil Aḥmad ʿAbd al-Mawjud & ʿAli Muḥammad Muwaḍ, Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1419 H / 1998.

Ibn al-Athir, Ḍiyaʾ al-Din**, *The Proverb in the Literature of the Writer and the Poet*, ed. Aḥmad al-Ḥufi & Badawi Ṭabana, Dar Nahḍat Miṣr, Cairo, n.d.

Ibn Badis, ʿAbd al-Ḥamid**, *The Sessions of Reminder from the Words of the Wise and Expert*, Publications of the Ministry of Religious Affairs, Algeria, 1st ed., 1982.

ʿAbd al-Tawwab, Ramadan, Introduction to Linguistics and the Methodology of Linguistic Research, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd ed., 1417 H / 1997.

Al-Ṭayyib, ʿAbd Allah, The Guide to Understanding Arab Poetry and Its Craft, Mustafa al-Halabi Press, Egypt, 1st ed., 1955.

Al-Suyuti, Jalal al-Din, The Blooming in the Sciences of Language, ed. Muḥammad Ahmad et al., Dar al-Turath Library, Cairo, 3rd ed., n.d.

Al-Farra, The Meanings of Quran, ed. Muḥammad al-Najjar et al., Al-Dar al-Miṣriyya li al-Talīf wa al-Tarjama, Egypt, 1st ed., n 1.

Ibn Fares, The Dictionary of the Scales of Language, ed. Abdessalem Harun al-Najjar, Dar al-Fikr,1st ed., 1399 H/1979.

Asfour, Jaber, The Concept of Poetry, The Cultural Centre, Cairo 1st ed., 1982.

Ibrahim, Anis, The Musicality of Poetry, al Anjo Egyptian Library, Egypt 2nd ed., 1952.

Romani, Ali ben Isaa Abu alHasan, Jokes in the Miraculous Nature of Quran, Printed among three dissertations about the miraculous nature of the Quran, ed. Mohamed Khalfallah and Dr Mohamed Zagloul Salam, Dar alMaaref, Cairo, Egypt 3rd ed., 1976.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (٣٤)، ع (١)، ص ص: ٣٧٤ – ٣٩٨ (٢٠٢٦م)
DOI: 10.4197/Art.34-1.13

The Rhetoric of Phonetic in "*Al-Mu'awwidhatayn*": An Analytical Study

Mohammad bin Abdullah bin ayedh Albuqmi

Associate Professor, Department of Arabic Language
University College, Taraba, University of Taif, Taif, Saudi Arabia

m.alnumiri@tu.edu.sa

Abstract : This study examines the significance of phonetic rhetoric in the words and linguistic structures found in the Holy Quran and its contribution to the rhetoric and miraculous nature of the Holy Quran. This research explores references related to phonetic rhetoric within the linguistic and rhetorical heritage, as well as books of miraculous nature, and modern scholars' debates in this important miraculous field. Additionally, this research provides an analytical study of the impact of phonetic value on meaning and applies it specifically to "*Al-Mu'awwidhatayn"* (*Surah Al-Falaq* and *Surah An-Nas*). The study delves into the phonetic characteristics present in these two Surahs. It consists of the theoretical foundations of phonetic rhetoric and applies them to "*Al-Mu'awwidhatayn"*. This research consists of the following sections: the preface introduces the content of the research. The first research question addresses the concept of phonetic rhetoric and its connection to rhetoric and Quranic miraculousness. The second research question studies phonetic rhetoric in Surah Al-Falaq. The third research question discusses phonetic rhetoric in Surah An-Nas. Finally, the conclusion includes a summary of the main ideas, content, and recommendations of the research.

Keywords: Rhetoric and Criticism, Quranic Rhetoric, Phonetic Rhetoric, *"Al-Mu'awwidhatayn".*